WWW.QURANONLINELIBRARY.COM

إشكالية رسم المصحف العثماني في ضوء الرؤية الاستشراقية

- م. د حكيم سلمان السلطاني
- م. د زهراء البرقعاوي
- الجامعة الإسلامية/ النجف الأشرف

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين.

وبعد:

فقد اهتم العلماء كثيراً بموضوع رسم المصحف، وكان مَحطَّ دراساتهم منذ القرن الإسلامي الثاني فقد أفرده بالتصنيف خلائقُ من المتقدمين والمتأخرين، وألّف فيه العلماء كتبًا كثيرةً.

ولأنّ المستشرقين قد تناولوا القرآن الكريم من عدة جوانبَ، لغويةٍ وتاريخيةٍ وتفسيريةٍ، فقد ارتأينا أن نخوض بمقولاتهم التي تتعلق برسم المصحف العثماني، وكيف أسست هذه المقولات للقول باضطراب النص القرآني من خلال قراءاته المتشكّلة عندهم في الأساس على رسم المصحف.

إن الغاية من دراسة رؤى المستشرقين وبيانها هي معرفة حقيقة موقفهم من القرآن وأسباب هذا الموقف، ولكي نتبيّن ذلك لا بد أن نكون مطّلعين تمامًا على رؤية المستشرقين والنقاط الجوهرية التي يثيرونها.

www.quranonlinelibrary.com

وتأسيسا على هذه المواقف، يقدم هذا البحث عرضاً مجملاً للرؤية الاستشراقية التي تهدف إلى رمي النص القرآني بالاضطراب والتناقض، بحسب تعدد وجوه القراءات الناتجة عن اختلاف رسم المصحف.

في رسم المصحف العثماني

الرسم لغةً هو الأثر[1]، ورسم كل شيءٍ أثره، والجمع رسومٌ. وقد استعير للدلالة على خط المصحف إشارةً إلى معنى الأثر القديم[2]. وكان استعمال لفظ الرسم بهذا المعنى قد ظهر متأخِّرًا على يد أبي عمرو الداني (ت444هـ) في كتابه (المقنع). وتحدث ابن خلدون (ت808هـ) عن فن الرسم بقوله: (ربما أضيف إلى فن القراءات فن الرسم أيضا، وهي أوضاع حروف القرآن في المصحف ورسومه الخطية)[3]. وأطلق عليه القلقشندي (ت821هـ) عدة أسماءٍ[4]، هي: (المصطلح الرسمي)، أو (الاصطلاح السلفي)، وهو الذي يقابل (المصطلح العرفي) المعتاد عند الناس في كتابة الكلمات. وهذه المصطلحات المترادفة، ظلت تستعمل للدلالة على الكتابة عامةً، إلا مصطلح الرسم المصحفي، الذي كان يعني خط المصحف خاصة[5].

ورسم المصحف كثيراً ما يُنسب إلى عثمان بن عفان فيقال الرسم العثماني، لأنّ جمع القرآن قد تم في عهده،[6]* فارتبط اسمه بتلك المصاحف التي بعث بها إلى الأمصار وبطريقة الكتابة فيها. وبذلك فإنّ الرسم العثماني هو ما خطه الصحابة حين نسخوا المصاحف[7].

وقد كان رسم المصحف مثار اهتمام العلماء، ومحطَّ دراساتهم منذ القرن الإسلامي الثاني فقد أفرده بالتصنيف خلائقُ من المتقدمين[8] والمتأخرين، وألّف فيه العلماء كتبًا كثيرةً.

(١) ظ: لسان العرب، ابن منظور(رسم) ١٣٢/١٥.
(٢) ظ: رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية، غانم قدوري حمد ١٥٦.
(٣) تاريخ ابن خلدون ٧٩١/١.
(٤) صبح الأعشى في صناعة الإنشا ١٧٩/٣.
(٥) رسم المصحف ١٥٧.
(٦) *الذي يراد من الجمع توحيد الأمة على قراءةٍ واحدةٍ، وتدوين هذه القراءة ونسخها وإرسالها إلى الأمصار.
(٧) رسم المصحف ١٥٧.
(٨) ظ: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي ١٤٥/٢. والنشر في القراءات العشر ٢/ ١٢٨.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

من هذه الكتب[1] التي تناولت ذلك:

١. اختلاف مصاحف الشام والحجاز والعراق)، و(مقطوع القرآن وموصله)، لعبد الله بن عامر اليحصبي (ت١١٨هـ).

٢. (هجاء المصاحف)، ليحيى بن الحارث الدماري (ت١٤٥هـ).

٣. (مقطوع القرآن وموصوله)، لحمزة بن حبيب الزيات (ت١٥٦هـ).

٤. (اختلاف مصاحف أهل المدينة وأهل الكوفة وأهل البصرة)، (الهجاء)، (مقطوع القرآن وموصوله)، لعلي بن حمزة الكسائي(ت١٨٩هـ).

٥. (اختلاف أهل الكوفة والبصرة والشام في المصاحف)، للفرّاء (ت٢٠٧هـ).

٦. (اختلاف المصاحف)، لخلف بن هشام (ت٢٢٩هـ).

٧. (هجاء المصاحف)، لمحمد بن عيسى الأصبهاني(٢٥٣هـ).

٨. (اختلاف المصاحف)، و(الهجاء)، لأبي حاتم السجستاني (ت٢٥٥هـ).

٩. (هجاء المصاحف)، لأحمد بن إبراهيم الوراق(ت٢٧٠هـ).

١٠. (الهجاء)، (الرد على من خالف مصحف عثمان)، لأبي محمد بن القاسم الأنباري (ت٣٢٧هـ).

١١. (اللطائف في جمع همز المصاحف)، لأبي بكر محمد بن الحسن المشهور بابن العطار (ت٣٥٤هـ).

١٢. (في الرسم)، لأبي بكر محمد بن عبد الله بن أشته الأصبهاني (ت٣٦٠هـ).

١٣. (هجاء مصاحف الأمصار), لأبي العباس أحمد بن عمار المهدوي (ت٤٣٠هـ).

١٤. (المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار)، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت٤٤٤هـ)، وهو من أشهر كتب الرسم على الإطلاق, بل إنه قد بلغ به الذروة، وقد نظمه الشاطبي (ت٥٩٠هـ) في منظومته الرائية المسماة (عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد). ونظمه أيضا الخراز (ت٧١٨هـ) في منظومته المسماة (مورد الظمآن). وقد قام العلماء بعدهما بشروحٍ لهاتين القصيدتين.

(١) ظ: الفهرست٣٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وإلى جانب تلك الكتب الخاصة بالرسم، هناك فصولٌ مبثوثةٌ في كتب علوم القرآن، تتحدث عن الرسم.

لا شكّ في أنّ الخط وُضع ليعبّر عن المعنى اللفظ نفسه الذي ينطق به، فالكتابة في الحقيقة قيدٌ للفظ المعبر عن المقصود. وعليه فيجب أن تكون الكتابة مطابقة للفظ المنطوق به تمامًا، ليكون الخط مقياسًا للفظ من غير زيادةٍ عليه أو نقصانٍ.

بيد أن المصاحف العثمانية قد أُهمل فيها هذا الأصل فوجدت بها حروفٌ كثيرةٌ جاء رسمها مخالفًا لأداء النطق، ويظهر أن الإصلاحات التي ظهرت على الخط العربي في ما بعد (لم تكن قد كملت بعد في العهد الذي رسم فيه المصحف العثماني، أو لم يكن استخدامها قد انتشر كل الانتشار، أو لم يكن الصحابة ممن رسموا المصحف على علمٍ تامٍّ بها، أو أنهم قد تحرّجوا من إدخالها في رسم القرآن. فجاءت المصاحف العثمانية مجردةً من الإعجام والشكل؛ ورُسمت فيها حروفٌ كثيرةٌ بصورةٍ مضطربةٍ خاطئةٍ، كزيادة الياء في (بأييد)، والألف في (لااذبحنه)، و(لأاوضعو خلالكم)، والواو في (جزاءو الظالمين)؛ وحذفت منها الألف كثيراً من الكلمات (الرحمن، السموات، يُقَتلونكم، للكفرين، ميثقكم، بالظلمين، استطعوا، وهجروا، وجهدوا، ومنفع للناس، اليتمى، قنتين،.... ألخ)؛ ورسم فيها بعض التاءات المربوطة مفتوحة (نعمت الله... ألخ)؛ واستبدلت فيها حروف بحروف أخرى (وَاللّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)[1].

والذي تؤكّده النقوش الأثرية، أن الصحابة كتبوا المصاحف كما يكتب الناس في زمانهم، بالقواعد الإملائية التي يعرفونها. وهذا الرأي هو الذي ترجّحه الأدلة الأثرية المكتوبة، التي اكتشفت قبل الإسلام وفي سنواته الأولى، إذ يلاحظ فيها إنقاص الألف، وخلوّها من النقط والشكل، وبعض الظواهر الكتابية الأخرى.

ومن الظواهر التي جاءت مخالفةً للقواعد الإملائية في الرسم العثماني، حذف الألف، مثل (خئفين، المؤتفكت، أبصر)، وحذف الياء (ارهبون،

(١) فقه اللغة، علي عبد الواحد وافي ٢٤٩-٢٥٠.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

يـؤت، الحوارين)، وحـذف الـواو (يـدع، يستون)، وحـذف الـلام (اليـل، الاتي) وحـذف النـون (نجـي، تـك)، وزيـادة بعـض الحـروف، كزيـادة الألـف (لشـائ، ابـن، لااذبحنـه، تايئسـوا، ادعـوا)، وزيـادة اليـاء (تلقـاءى، نبـأى، بأييكـم، بأييـد)، وزيـادة الـواو (سـأوريكم، لأوصلبنكـم)، وظاهـرة الإبـدال، إبـدال اليـاء ألفـاً (الاقصـا، طغـا، رءا، نئـا، يحيـا، لـدا، بـشرا)، وإبـدال الألـف يـاءً (طحيهـا، زكيها، اجتبيكـم)، وإبـدال الألـف واواً (الصلـوة، الزكـوة، الحيـوة، الربـو، الغـدوة)، وإبـدال نـون التوكيـد الخفيـف تنوينًـا (لنسـفعًا، ليكونًـا)، وإبـدال التـاء المربوطـة تـاءً مفتوحـةً (رحمـت، نعمـت، امـرأت، لعنـت، شـجرت، سـنت)، وإبدال السـين صـادًا (الـصراط، يبصـط)، وظاهـرة كتابـة الهمـزة (الضعفـؤا).

وقـد يغلـو بعـض المتزمتـين بالرسـم القديـم، فيزعمونـه توقيفًـا كان بأمـر النبي (ص) الخـاص، ولم يكـن للكَتَبـة الأوائـل دخـلٌ في رسـمه بالهيئـة الموجـودة، وأنّ وراء هـذه المخالفـات الإملائيـة سرًّا خفيًّـا وحكمـةً بالغـةً لا يعلمهـا إلا اللـه سـبحانه.

وهـو مـا ادّعـاه ابـن المبـارك في نقلـه عـن شـيخه عبـد العزيـز الدبـاغ أنـه قـال: (مـا للصحابـة ولا لغيرهـم في رسـم القـرآن ولا شـعرةٌ واحـدةٌ، وإنمـا هـو توقيـفٌ مـن النبـي ﷺ وهـو الـذي أمرهـم أن يكتبـوه عـلى الهيئـة المعروفـة بزيـادة الألـف ونقصانهـا، لأسرارٍ لا تهتـدي إليهـا العقـول وهـو سرٌّ مـن الأسرار خـصّ اللـه بـه كتابـه العزيـز دونَ سـائر الكتـب السـماوية، وكـما أن نظـم القـرآن معجـزٌ فرسـمه أيضـا معجـزٌ)[1].

وقـد رد الدكتـور الصغـير هـذا الـكلام وبـين هزالـه مـن عـدةِ وجـوهٍ، منهـا: (أن الرسـم المصحفـي لم يـرد فيـه ولا حديـثٌ واحـدٌ عـن النبـي ﷺ فكيـف يكـون توقيفيًّـا... **الثـاني:** لـو كان الرسـم توقيفيًّـا لكانـت خطـوط كتـاب الوحـي واحـدةً، وليـس الأمـر كذلـك)[2].

وذهـب بعـضٌ إلى تفسـير ظواهـر الرسـم تفسـيراً صوفيًّـا، وأنّ فيـه حِكَـمًا خفيّـةً، وأسرارًا بهيـةً، ومنهـم أبـو العبـاس المراكـشي (ت721هـ)، الـذي عـبّر

(١) مناهل العرفان ١/ ٣٧٦.

(٢) دراسات قرآنية (تاريخ القرآن) ١٤٠-١٤١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

عنها بقوله إن الرسوم (إنما اختلف حالها في الخط، بحسب اختلاف أحوال معاني كلماتها)[1]. وكذلك (التنبيه على العوالم الغائب والشاهد، ومراتب الوجود والمقامات)[2].

وإن كان المراكشي قد عرض مذهبه في عبارةٍ قويةٍ وأسلوبٍ جيدٍ، فإنه لم يسلم من النقد، لأن قوة العبارة وجودة الأسلوب لا يمكنهما أن تنصرا مذهبًا، إذا توافرت فيه عوامل الضعف.

وسبب ميل المراكشي إلى هذه الأسرار هو كما قال د. غانم قدوري حمد أنه (كان ذا ميلٍ شديدٍ إلى العلوم الرياضية والعقلية، يتجلى ذلك في مؤلفاته الكثيرة في الفلسفة والمنطق والفلك والأصول، ثم إنه ذو اتجاهٍ صوفيٍّ وجدانيٍّ، دفعه إلى الانقطاع مدةً عن أكل ما فيه روحٌ، وأصيب بحالةٍ عصبيةٍ فحجب عن بيته سنةً وتعافى)[3].

وهذه الأسرار الخفية بعيدةٌ كل البعد عن طبيعة الموضوع، فلم يدر في خلد الصحابة شيءٌ من تلك المعاني الصوفية التي يحاول المراكشي أن يعلّل بها رسم كلمات المصحف.

ومنهم من ذهب إلى أنّ اختلاف المسلمين في القراءات، هو السبب الذي من أجله كُتِبت المصاحف بطريقةٍ تحتمل هذه القراءات الصحيحة، فقد (ساعدت صورة الخط العربي، في ذلك الوقت على أن يتضمن النص القرآني المكتوب معظم القراءات، التي قرئ بها القرآن في أيام النبي)[4]. لقد ساعد الخط العثماني بخلوّه من النقط والشكل وبعض ظواهره الكتابية ومنها حذف الألف أن يقرأ بصورٍ عدةٍ، فجاء محتملاً للكثير من القراءات، وأصبحت من مميزات الرسم الدلالة على القراءات، وجعل السيوطي من قواعد الرسم العثماني (ما فيه قراءتان فكتب على أحدهما)[5]، وعدّد بعض الكلمات التي أنقصت منها الألف.

(١) البرهان في علوم القرآن، الزركشي ٣٨٠/١.
(٢) الإتقان في علوم القرأن، السيوطي ١٤٥/٤.
(٣) رسم المصحف ٢٢٩.
(٤) رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية ٣٧.
(٥) الإتقان في علوم القرآن ٤/ ١٤٧.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وذهب الزرقاني إلى أنّ (قاعدة الرسم لوحظ فيها أنّ الكلمة إذا كان فيها قراءتان أو أكثر، كتبت بصورةٍ تحتمل هاتين القراءتين أو الأكثر. فإنْ كان الحرف لا يحتمل ذلك بأنْ كانت صورة الحرف تختلف باختلاف القراءات جاء الرسم على الحرف الذي هو خلاف الأصل، وذلك ليعلم جواز القراءة به وبالحرف الذي هو الأصل. وإذا لم يكن في الكلمة إلا قراءةٌ واحدةٌ بحرف الأصل رُسِمت به مثال الكلمة تكتب بصورةٍ واحدةٍ وتقرأ بوجوهٍ متعددةٍ قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ إِنْ هَـٰذَانِ لَسَٰحِرَانِ﴾ (طه/ 63) رسمت في المصحف هكذا: (إ هد لسحر) من غير نُقطٍ ولا شكلٍ ولا تشديدٍ ولا تخفيفٍ في نُونيَ إن وهذان، ومن غير ألفٍ ولا ياءٍ بعد الذال من هذان، ومجيء الرسم كما ترى كان صالحًا عندهم لأن يُقرأ بالوجوه الأربعة التي وردت كلها بأسانيدَ صحيحةٍ. (أولها) قراءة نافع ومن معه إذ يشددون نون (إنّ) ويخففون (هذان) بالألف. (ثانيها): قراءة ابن كثيرٍ وحده إذ يخفف النون في (إنْ) ويشدد النون في (هذانّ). (ثالثها): قراءة حفص إذ يخفف النون في (إنْ) و(هذان) بالألف: (رابعها): قراءة أبي عمرو بتشديد (إنّ) وبالياء وتخفيف النون في (هذين) فتدبّر هذه الطريقة المثلى الضابطة لوجوه القراءة لتعلم أنّ سلفنا الصالح كان في قواعد رسمه للمصحف أبعد مِنَّا نظرًا وأهدى سبيلاً)[1].

والحق إنّ الرسم العثماني بخلوّه من النّقط والشّكل ومن الألف وإنْ ساعد على أن تُقرأ الكلمة بصُورٍ عدةٍ، إلّا أنّ ذلك ليس مُرادًا من الصحابة بل إنّ طريقتهم في الكتابة آنذاك هي التي ساعدت عليه. ولا خلاف أنّ ما رُسم أصلاً بالألف الممدودة ليس له إلّا وجه المد، ولا يصحّ فيه قراءة القصر، وهذا محل اتفاقٍ، كما في (الميزان، كالفخار، الأكمام). وكذلك فإنّ بعض ما رسم أصلاً من دون ألفٍ حظي باتفاق الكل على تقدير الألف فيه، ولم يُقرأ بغير ألفٍ كما في (الرحمن، الإنسن، قصرت، يهمن).

ولكن وقع الخلاف في بعض ما رُسم أصلاً من دون الألف، وقرئ بوجهين: بتقدير الألف وبحذفها. كما في (واعدنا)، فقرئت بتقدير الألف

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن ٢٥٨/١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

(واعدنـا)، وقرئـت مـن دون ألـفٍ (وعدنـا).

والـذي تؤكـده النقـوش الأثريـة، أنّ الصحابـة كتبـوا المصاحـف كـما يكتـب النـاس في زمانهـم، بالقواعـد الإملائيـة التـي يعرفونهـا. فلهـذه المسـألة جـذورٌ تاريخيـةٌ ترجـع إلى الخـط النبطـي* المشـتق مـن الخـط الآرامـي. وهـذا الـرأي هـو الـذي ترجّحـه الأدلـة الأثريـة المكتوبـة، التـي اكتشـفت قبـل الإسـلام وفي سـنواته الأولى، إذ يلاحـظ فيهـا إنقـاص الألـف، وخلوّهـا مـن النقـط والشـكل، وبعـض الظواهـر الكتابيـة الأخـرى[1].

وعليـه فكتابـة المصحـف إذًا كانـت في ضـوء مـا ألفـه الصحابـة مـن الهجـاء واعتـادوه مـن الرسـم، وذلـك قصـارى جهدهـم، ومـا ورد فيهـا مـن مخالفـاتٍ إملائيـةٍ لا يتعـارض مـع أصـول المعـاني ومداليـل الألفـاظ، فالإمـلاء لا يغـير نطقًـا، ولا يحـرّف معنًـى[2]. ومـا ورد فيهـا مـن مخالفـاتٍ إملائيـةٍ ليـس بالـشيء الـذي يمـس سـلامة القـرآن. فالقـرآن هـو الـذي يُقـرأ، لا الـذي يكتـب فلتكـن الكتابـة بـأيِّ أسـلوبٍ. فإنهـا لا تعنـي شـيئًا مـا دامـت القـراءة باقيـةً عـلى لغتهـا الأولى التـي كانـت تقـرأ عـلى عهـد الرسـول ﷺ وصحابتـه الأكرمـين.

رؤية المستشرقين لرسم المصحف العثماني:

قـرر المسـتشرقون أنّ السـبب في ظهـور القسـم الأكـبر مـن القـراءات هـو خاصيـة الخـط العـربي، فالرسـم الواحـد للكلمـة الواحـدة قـد يُقـرأ بأشـكالٍ مختلفـةٍ تبعًـا للنقـط فـوق الحـروف أو تحتهـا، كـما أن عـدم وجـود الحـركاتٍ النحويـة وفقـدان الشـكل في الخـط العـربي يمكـن أنْ يجعـل للكلمـة حـالاتٍ مختلفـةً مـن ناحيـة موقعهـا مـن الإعـراب مـا يـؤدي إلى اختـلاف دلالتهـا، كل ذلـك كان السـبب الأول لظهـور حركـة اختـلاف القـراءات وتعددهـا كـما زعـم كثـيرٌ مـن المسـتشرقين.

(١) * النبط: هم قومٌ من السّاميّين أسسوا مملكةً في شمال الجزيرة العربية وجنوب فلسطين وبلاد الشام، كانت عاصمتها البتراء. استعملت الآرامية لغةً كتابيةً لها، مرورًا بالنبطية حتى صارت العربية لغة حياتهم اليومية. ظ: رسم المصحف دراسةٌ لغويةٌ تاريخيةٌ، غانم قدوري الحمد، منشورات اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري، بغداد-العراق، ط١، ١٩٨٢م، ٤٥-٤٦.

ظ: رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية ٥٩-٧٥.

(٢) ظ: تاريخ القرآن، محمد حسين علي الصغير ١٣٥.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

يقول غولدتسيهر: (وترجع نشأة قسمٍ كبيرٍ من هذه الاختلافات إلى خصوصية الخط العربي الذي يقدم هيكلهَ المرسوم مقاديرَ صوتيةً مختلفةً، تبعًا لاختلاف النقاط الموضوعة، فوق هذا الهيكل أو تحته، وعدد تلك النقاط. بل كذلك في حالة تساوى المقادير الصوتية يدعو اختلاف الحركات الذي لا يوجد في الكتابة العربية الأصلية ما يحدده، إلى اختلاف مواقع الإعراب للكلمة، وبهذا إلى اختلاف دلالتها، وإذًا فاختلاف تحلية هيكل الرسم بالنقط، واختلاف الحركات، في المحصول الموحد القالب من الحروف الصامتة، كانا هما السبب الأول في نشأة حركة اختلاف القراءات في نصٍّ لم يكن منقوطًا أصلاً، أو لم تُتحرَّ الدقة في نَقْطه أو تحريكه)[1].

فالمستشرق غولدتسيهر، يرى أنّ سبب الاختلاف بين القراءات، يرجع إلى خصوصية الخط العربي الذي لم يكن منقوطًا ولا مشكولاً. وقدّم أمثلةً[2] حاول الاستدلال بها على دعواه، وهي:

١- ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ (الأعراف/٤٨)، (تستكبرون) بالباء الموحدة، وفي قراءة (تستكثرون) بالثاء المثلثة.

٢- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓ﴾ (الاعراف/٥٧)، (نشرا) بالنون بدل الباء.

٣- ﴿وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾ (التوبة/١١٤)، بالياء المثناة التحتية، وفي قراءة - من الغريب أنها قراءة حماد الراوية- (أباه) بالباء الموحدة.

٤- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا﴾ (النساء/٩٤)، فبدلا من (فتبينوا) قرأ جماعة من ثقات القراء (فتثبتوا) والهيكل المرسوم يحتمل الوجهين.

وذهب إلى أن هذه الاختلافات وما شابهها لا تسبب فرقًا من جهة المعنى العام ولا من جهة الاستعمال الفقهي.

(١) مذاهب التفسير الإسلامي ٨- ٩.
(٢) ظ: م.ن ٩-١٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

٥- ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ (البقرة/٥٤)، أي فليقتل بعضكم بعضا، (أو بالمعنى الحرفي للنص: فاقتلوا أنفسكم بأنفسكم).

يدور الحديث حول غضب موسى حين علم بصنع بني إسرائيل عجلا من ذهب وعبادتهم إياه فقد وجد المفسرون الأمر بقتل أنفسهم، أو بقتل الآثمين منهم، أمرًا شديدَ القسوة، وغيرَ متناسبٍ مع الخطيئة، فآثروا تحلية الحرف الرابع من هيكل الحروف الصامتة بنقطتين من أسفل، بدل التاء المثناة من أعلى، فقرؤا: (فأقيلوا) بمعنى: حققوا الرجوع عمّا فعلتم، أي بالندم على الخطيئة المقترفة.

وهذا المثال -بحسب غولدتسيهر- يدل فعلًا على أنّ ملاحظاتٍ موضوعيةً قد شاركت في سبب اختلاف القراءة، خلافًا للأمثلة السابقة التي نشأ الاختلاف فيها من مجرد ملابساتٍ فنيةٍ ترجع إلى الرسم.

٦- ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ (الفتح/٨-٩)، فبدلًا من: (وتعزّروه) بالراء المهملة، الذي معناه: وتساعدوه، قرأ بعضهم: (وتعززوه) بالزاي المعجمة بمعنى: وتعظموه. وداعي تغيير النص على هذا الوجه خشية تصوّر أن الله ينتظر من الناس مساعدةً أو معونةً. وقد كان مجردُ إضافةِ نقطةٍ واحدةٍ كافيًا في إزالة ذلك الإيهام: فانتقل المعنى من تقديم المعونة لله إلى تعظيم الله.

وهو في هذه الأمثلة قد خلط قراءاتٍ صحيحةً بقراءاتٍ شاذةٍ منكَرةٍ. ومن القراءات الصحيحة، الأمثلة: (4،2). ومن القراءات الشاذة، الأمثلة: (6،5،3،1).

ثم يأتي آرثر جفري متابعًا غولدتسيهر في ادعائه أن اختلاف القراءات راجعٌ إلى سببين رئيسين نتجا عن التزام رسم القرآن بالخط العربي فتأثرت القراءات بطبيعته من جهتين؛ **الأولى:** تجرد خط المصاحف العثمانية الأولى من النقط. **والثانية:** عدم ضبط هذا النص بالشكل.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

يقول آرثر جفري في المقدمة التي كتبها لتحقيقه كتاب (المصاحف) لابن أبي داود: (وكانت هذه المصاحف كلها -يعني مصاحف عثمان التي بعث بها إلى الأمصار- خاليةً من النُّقط والشَّكل، فكان على القارئ نفسه أن ينقّط ويشكّل هذا النص على مقتضى معاني الآيات. ومثال ذلك (يعلمه) كان يقرؤها الواحد (يُعَلِّمُه) والآخر (نُعَلِّمُه) أو (تُعْلِمُه) أو (بِعِلْمِه) إلخ على حسب تأويله للآية)[1].

ويوافقهما على هذا المستشرق الألماني (كارل بروكلمان) فقال: (حقًّا فتحت الكتابة التي لم تكن قد وصلت بعدُ إلى درجة الكمال، مجالاً لبعض الاختلاف في القراءة، ولا سيما إذا كانت غيرَ كاملة النقط، ولا مشتملةً على رسوم الحركات، فاشتغل القُرّاء على هذا الأساس بتصحيح القراءات واختلافها)[2].

ومع أن هذا الرأي قد لقي نقدًا وتجريحًا من قِبل بعض الدارسين العرب[3]. إلاّ أنّه لقي بالوقت نفسه تأييدًا من قِبل آخرين أمثال إبراهيم الإبياري، وجواد علي، وصلاح الدين المنجد[4].

ونستطيع أن نقول أنّه لو كانت القراءة تابعةً للرسم كما يقول (غولدتسيهر) لصحت كلُّ قراءةٍ يحتملها رسم المصحف، لكن الأمر على غير ذلك، فإنّ بعض ما يحتمله الرسم صحيحٌ مثل (فتبينوا)، وبعضه من الشواذ مثل قراءة (أباه)، وقراءة (تستكثرون).

فالأصل أنّ الرسم تابعٌ للرواية والنقل، وأنّ الرواية منقولة من أفواه الرجال الحَفَظَة، لا كما يُصوّره المستشرقون، فإذا احتمل الرسم قراءةً غيرَ مرويةٍ ولا ثابتةٍ، ولا مسندةٍ إسنادًا صحيحًا رُدّت ووُصمت بأنها شاذّةٌ.

(١) مقدمة كتاب المصاحف ٧٠.

(٢) تاريخ الأدب العربي، بروكلمان، القسم الأول ١٩٧/١.

(٣) ظ: محمد طاهر بن عبد القادر الكردي، تاريخ القرآن وغرائب رسمه. وعبد الوهاب حمودة، القراءات واللهجات. وعبد الفتاح شلبي، رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم دوافعها ودفعها. وعبد الصبور شاهين، تاريخ القرآن.

(٤) ظ: الموسوعة القرآنية الميسرة، لهجة القرآن الكريم، مجلة المجمع العلمي العراقي، ١٩٥٥، ودراسات في تاريخ الخط العربي.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

ونستطيع أن نقول أنّ القراءة تابعةٌ للرواية والنقل من أفواه الحَفَظَة، مع موافقتها للعربية، ومطابقتها لرسم المصحف، لا أنّ الرسم العثماني هو وحده المتحكِّم في القراءة، وإلا لصحت كلُّ قراءةٍ يحتملها رسم المصحف. فقد يحتمل الرسم في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ ما نُسب إلى حمزة الزيات من أعدائه «**ذلك الكتاب لا زيت فيه**»![1]. ويحتمل الرسم في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ «**ولله ميزاب السموات والأرض**». لكن شيئا من ذلك لم ينقل في صحيح الرواية ولم يرد في ما ثبت عن الرسول ﷺ فهو إذن من التحريف والتصحيف.

ونستطيع أن نلخّص مضامين تلكم الردود والانتقادات بما يأتي:

١- اعتماد القراءات على النقل والرواية.

٢- ظهور حركة القراءة قبل وجود النقط والشكل.

٣- إن شيوع ظاهرة القراءات القرآنية كان قبل تدوين المصاحف.

(فلم يكن خط المصاحف -إذًا- سببًا في وجود القراءات القرآنية أو اختلافها، ولكنه كان سببًا في حفظ الاختلاف الموجود أصلاً، لأنّ القراءة سنةٌ متبعةٌ. وقد كان الرسم حين عدّت موافقته شرطًا في قبول القراءة مقياسًا وقائيًّا، يمنع ما لا يدخل في نطاقه، مما صحّ من الروايات، فالرسم لا ينشئ القراءة ولكنه يحكم عليها) [2].

وقد يكون الحديث عن رسم المصحف العثماني وأثره في القراءات القرآنية مقدمةً للطعن والغمز في سلامة القرآن الكريم، وهو ما يراه المستشرقون من أن تعدد القراءات القرآنية للنص القرآني هو اضطرابٌ لحقه بسببها، وهذا ما ذهب إليه (غولدتسيهر)؛ قائلا: (فلا يوجد كتابٌ تشريعيٌّ اعترفت به طائفةٌ دينيةٌ اعترافًا عقديًّا على أنه نصٌّ منزلٌ أو موحًى به يقدم نصّه في أقدم عصور تداوله مثل هذه الصورة من الاضطراب وعدم الثبات كما نجد في النص القرآني)[3].

(١) ظ: شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، العسكري ١٢.

(٢) رسم المصحف دراسةٌ لغويةٌ تاريخيةٌ، غانم قدوري حمد ٧٢٢.

(٣) مذاهب التفسير الإسلامي ٤.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

والحق أنّ هذه الاختلافات ليست متناقضةً بمعنى أن يُلْجَأَ إلى هدر أحد الوجهين إذا اعتمد الآخر؛ بل هي ذاتُ معانٍ متضامنةٍ يكمّل بعضُها بعضًا، وقد يدلّ الوجه على ما لا يدل عليه أخوه ولكنه لا ينافره ولا يضاده، بل يمنحك معنًى جديدًا يضيء لك سبيل التفسير أو الحكم. وعلى هذا يقول الزرقاني: (بل القرآن كله على تنوّع قراءاته يصدّق بعضُه بعضًا، ويبيّن بعضه بعضًا ويَشْهد بعضه لبعض على نمطٍ واحدٍ في علوّ الأسلوب والتعبير، وهدفٌ واحدٌ من سموّ الهداية والتعلم، وذلك من غير شكٍّ يفيد تعدد الإعجاز بتعدد القراءات والحروف)[1].

فحمل القراءات بعضها على بعضٍ نقصد به اتساع المعاني للقرآن الكريم وهو ما يعبّر عنه بـ (ثراء المعنى) ونقصد به كثرة المعاني لتنوع القراءات، أي إن القراءات تكون صالحةً لأنْ تدلّ في تنوّعها على معانٍ متعددةٍ على سبيل البدل أو الاشتراك.

والسؤال الوارد هنا حول اتساع معاني القراءات القرآنية على اختلافها وتنوّعها: هل قصد القرآن الكريم إلى تعدد المعاني هذه؟ وهو سؤالٌ كما نرى يتعلق بوظيفة النص القرآني وغايته، وإذا كان من المتفق عليه أنّ النص القرآني هو نصٌّ مقدَّسٌ موحًى من قِبل الله تعالى (نصٌّ إلهيٌّ)، وأنّه خاتم الكتب السماوية (نصٌّ خالدٌ)، وأنّه عالميُّ الخطاب (نصٌّ عصريٌّ) لذا كان من ضروريات النص القرآني أنْ يتّسع لأكثر من معنًى ليحاكيَ كل ظروف الحياة ومتطلباتها ومستجداتها، مما تَكَشَّفَ أنه من غير الممكن أن ندّعي صوابّة معنىً واحدٍ من تفسيرات النص يكون ما عداه من المعاني خطأً.

ولا يعني هذا أن جميع دلالات القراءات صحيحٌ ومقبولٌ، بل هناك الصحيح والضعيف والمردود، إنما المقصد هنا أن النص القرآني من خلال القراءات يعطي مساحةً للفهم ودائرةً واسعةً للاجتهاد والنظر والتأمل.

فالمتأمل في القراءات يكون بصدد جملة أهدافٍ متآزرةٍ تكشف عنها إمكانيات النص الهائلة حيث يكون النص القرآني مُوَجَّهًا - بفضل إمكانيته المودعة فيه - لتحقيق أغراضٍ متعددةٍ، قد لا تخالف أيٌّ منها نصًّا، أو عقلاً،

(١) مناهل العرفان ١/ ١٠٥.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

أو واقعًا، ولا يُفضي إلى تحريم حلالٍ، أو تحليل حرامٍ. بل قد تكون جميع وجوهه مقبولةً ومُرادةً وذاتَ فائدةٍ مترتبةٍ على توجيه هذه القراءات خاصةً.

وهذا يرجع إلى ثرائه وتجدّد مَعِينه الذي لا ينضب، سواءً أكان هذا التنوع على صعيد اللفظ الواحد (القرآن) على سبيل التفسير، أم على صعيد تعدّد اللفظ (القراءات) على سبيل التوجيه. وإنما الاختلاف، إنْ وجد، فهو من فهمنا لتوجيه القراءة.

واعتبار النص القرآني كُلًّا لا يتجزّأ لأنّه يهدف إلى غايةٍ واحدةٍ وإن تنوّعت مظاهر تعبيره تبعًا لتنوّع القراءات، لذا يجب التسليم بأن القراءات الواردة في الآية وإن تنوّعت فإنّ لها ثابتًا بنيويًّا تنطلق منه فهي تُطْلِق أو تقيّد، و تُجْمِل أو تفصّل، و تُبَيِّن أو تخصّص المعنى في النص القرآني، ولكنْ مهما كان الحال فإنها لا تناقضه ولا تُضادُّه.

فإنّ من إعجاز القراءات أنّها تتكامل مع النص ولا تتنافر معه، فكل قراءةٍ تضيف إلى النص القرآني معنًى من المعاني ولا تلغيه؛ قال الشيخ الزرقاني: (ما في تنوّع القراءات من البراهين الساطعة، والأدلة القاطعة على أنّ القرآن كلام الله، وعلى صدق من جاء به وهو رسول الله؛ فإن هذه الاختلافات في القراءة على كثرتها لا تؤدي إلى تناقضٍ في المقروء وتَضادٍّ، ولا إلى تهافتٍ وتخاذُلٍ) [1]. وهذا ما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾[2]، ويدلّ عليه إقرار النبي ﷺ للمختلفين في القراءة بقوله: أصبتم، أو كلاكما محسنٌ، أو أي ذلك قرأتم أصبتم، وكذلك إقرار الأئمة المعصومين: (اقرؤوا كما علمتم)، (اقرؤوا كما تقرأ الناس).

من خلال ما تقدم يتبين بشكلٍ جليٍّ أنّ الاختلاف في القراءات لا يعني التعارض والتباين في النص القرآني، فالقراءات على اختلافها وتنوعها لم يتطرّق إليها تَضادٌّ وتَناقضٌ، أو تدافعٌ بين معاني الآية.

وعليه فإن هناك عدةَ صورٍ لاختلاف القراءات - كما هو مقرَّرٌ ومعروفٌ

(١) مناهل العرفان ١٠٥/١.

(٢) النساء الآية ٨٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

في كتب القراءات وعلوم القرآن والتفسير- فمنها: ما اختلف فيه تنقيط الحرف من دون تغييرٍ في رسم الكلمة، مثل (فتبينوا، فتثبتوا) (الحجرات/6)، أو حركة الحرف (قَرن، قِرن) }الأحزاب/33{، أو تغيير الحرف (يبصط، يبسط) }البقرة/245{، أو بزيادةٍ (تحتها الأنهار، من تحتها الأنهار) }التوبة/100{، أو بحذفٍ (والذين اتخذوا، الذين اتخذوا) }التوبة/ 107{.

وغير ذلك من أنواع الاختلافات مما قرأ به القراء ودُوِّن في كتب القراءات من دون أن يؤثّر ذلك كله في رسم المصحف.

وما يأتي هو عرض لنماذجَ تطبيقيةٍ لما اختلفت قراءته بسبب تجرّد المصحف من النقط، وفقدان الشكل، وبعض الظواهر الأخرى، للتدليل على صحة ما ذهبنا إليه:

نماذج تطبيقية:

1 - اختلاف القراءة على مستوى النقط (تبينوا - تثبتوا):

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ﴾ }الحجرات/6{.

أ - أوْجُه القراءة:

قرأ حمزة والكسائي وخلف: (فتثبتوا) بالتاء والباء. وقرأ الباقون: (فتبينوا) بالباء والياء[1].

ب - حجة القراءة:

حجة من قرأ (فتثبتوا) من (تثبت)، أي: فتأنوا وتوقفوا حتى تتيقنوا صحة الخبر، وحجة من قرأ (فتبينوا) من (تبين)، أي: فافحصوا واكشفوا، وحجتهم قول رسول الله ﷺ ألا إن التبين من الله والعجلة من الشيطان فتبينوا[2]. ويرى الفرّاء أنهما (متقاربان في المعنى. تقول للرجل: لا تعجل بإقامةٍ حتى تتبين وتتثبت)[3].

(١) ظ: كتاب السبعة في القراءات ٢٣٦، والنشر في القراءات العشر ٢/ ١٨٩.

(٢) ظ: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها ٢/ ٤٣٣.

(٣) معاني القرآن ١/ ١٩٦.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

جـ - دلالة القراءة:

اشتملت هذه الآية المباركة على قراءةٍ مختلفةٍ في حروفها متنوعةٍ في معطياتها. فقد أفادت قراءة (فتثبتوا) معنى التثبّت، فهي من الثبت. والثبت: هو التأني، والتوقف، حتى تتّضح صحة الخبر[1]. والمعنى: فاطلبوا ثبات الأمر، ولا تعجلوا فيه. إذ دعت المؤمنين إلى التأني وترك الإقدام على القتل، دون التثبت، فجاء التثبّت مخالفا للإقدام، والتثبّت أفسح للمأمور من التبين، لأنّ كلَّ من أراد أن يتثبت قدر على ذلك، وليس كل من أراد أن يتبين قدر على ذلك، لأنه قد يتبين، وقد لا يتبين له ما أراد بيانه. فدلت على زيادةٍ في المعنى المراد من جهة المخاطَب.

على حين أفادت قراءة (فتبينوا) معنى التبين، وهو التعرف والتفحص والكشف، عن هوية الأمر[2]. ولما كان معنى الآية (افحصوا عن أمر من لقيتموه واكشفوا عن حاله قبل أن تبطشوا بقتله، حتى يتبين لكم حقيقة ما هو عليه من الدين)[3] حُمِلَ المخاطَب على التبيين فبه يظهر الأمر، فناسبت حيثية الحدث، وما تهدف إليه الآية.

ففي التبين معنى التثبت، وليس كل من تثبت في أمر تبينه، فقد يتثبت ولا يتبين له الأمر، فالتبين أعم من التثبت في المعنى لاشتماله على التثبّت.

ومدلول الآية مطلقٌ[4]، فـ(في تنكير الفاسق والنبأ: شياعٌ في الفُسّاق والأنباء، كأنه قال: أيُّ فاسقٍ جاءكم بأيِّ نبأٍ)[5]. فتنكير فاسق ونبأ يفيد الإطلاق لأنه نكرةٌ في سياق الإثبات.

وبالنظر إلى قوله تعالى: ﴿أَن تُصِيبُواْ قَوْمًا بِجَهَٰلَةٍ﴾ (يفيد أن المأمور به هو

(١) ظ: التبيان في تفسير القرآن ٩/ ٣٤٤، وفتح القدير ٥/ ٧٤، وروح المعاني ١٣/ ٢٩٨.

(٢) ظ: التبيان في تفسير القرآن ٩/ ٣٤٤، وفتح القدير ٥/ ٧٤، وروح المعاني ١٣/ ٢٩٨.

(٣) الكشف ٢/ ٤٣٣.

(٤) روي في سبب نزولها أنها نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط بعثه رسول الله ﷺ إلى بني المصطلق مصدقا وكان بينه وبينهم عداوةٌ في الجاهلية فلما سمع القوم تلقوه تعظيمًا لله تعالى ولرسوله فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله فهابهم فرجع من الطريق إلى رسول الله ﷺ وقال: إن بني المصطلق قد منعوا صدقاتهم وأرادوا قتلي فغضب رسول الله ﷺ وهَمَّ أن يغزوهم فبلغ القوم رجوعه فأتوا رسول الله ﷺ وقالوا: سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونؤدي إليه ما قبلنا من حق الله تعالى فبدا له في الرجوع فخشينا أن يكون إنما رده من الطريق كتاب جاءه منك بغضبٍ غضبته علينا وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فأنزل الله تعالى الآية. ظ: أسباب النزول، الواحدي ١٩١.

(٥) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل ٤/ ٣٥٠.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

رفع الجهالة وحصول العلم بمضمون الخبر عندما يراد العمل به وترتيب الأثر عليه)[1]. وعلى هذا فإن قراءة التبين التي تفيد العلم وانكشاف الحقيقة هي الأرجح لمضمون الآية المباركة التي تقتضي الوصول إلى الحقيقة.

ولأن الفاسق نادرًا ما يأتي بخبرٍ صائبٍ، صُدِّر بحرف الشرط (إن) المقتضي للشك لا بالحرف (إذا) المقتضي للحقيقة. مما يتطلب التحقق من خبره وبلوغ اليقين فيه، فلا يكفي مجرد التثبت.

وأيضا ورود الصيغة التعبيرية في خاتمة الآية ﴿فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾ التي نظرت إلى مآل عدم التبين من الخبر، وهو الخسران وإصابة القوم بجهالةٍ، مما تَطَلَّب الدقة والفحص عن النبأ، لأن عدم التحقق من صحة الخبر سيُفضي إلى الندم، وهو مذمومٌ عند المؤمنين.

2 - اختلاف القراءة على مستوى الحركة (قَرن - قِرن):

قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ {الأحزاب/33}.

أ - أوجه القراءة:

قرأ نافع وأبو جعفر وعاصم: (وقَرن)، بفتح القاف. وقرأ الباقون: (وقِرن)، بكسر القاف[2].

ب - حجة القراءة:

قال الخليل: (القرار: المستقر من الأرض. وأقررته في مقره ليقر، وفلان قارٌّ، أي: ساكنٌ)[3] و(الوقار: السكينة والموادعة، ورجل وقورٌ ووَقَّارٌ ومتوقِّرٌ: ذو حلمٍ ورزانةٍ)[4].

(١) الميزان في تفسير القرآن ١٨/ ٣١٦.
(٢) ظ: الحجة، ابن خاويه ١٨٥، وكتاب السبعة ٥٢١-٥٢٢، والنشر ٢٦١/٢.
(٣) كتاب العين، (قر) ٢١/٥.
(٤) م. ن، (وقر): ٢٠٧/٥.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

فحجة من قرأ (قَرن) بفتح القاف، فهو من: قَرَرْتُ بالمكان أقَرُّ، و(قَرْن) كان في الأصل (اقْرَرْنَ) فحذفت الراء الأولى وألقيت حركتها على القاف، فقيل (قَرْنَ) ووزنها: (فَلْنَ).

وأمّا حجة من قرأ (قِرن) بكسر القاف، ففيها وجهان، أحدهما: أنه من الوقار، يقال: وَقَرَ يَقِر، والأمر: قِرْ، وللنساء: قِرْن، ووزنها(عِلْنَ). والوجه **الثاني:** أنها من: قررت بالمكان أقرّ، وأصلها (إقْرِرْنَ) فحذفت الراء الأولى وألقيت حركتها على القاف، فقيل (قِرْنَ) ووزنها: (فِلْنَ)[1]. فالكسر من وجهين من الوقار، أو من القرار. والفتح من القرار فقط.

جـ - دلالة القراءة:

على قراءة الفتح (قَرن) يكون معنى الآية: الأمر لهن بالاستقرار والسكون في بيوتهن وألّا يخرجن إلا لضرورة.

أما قراءة الكسر (قِرن) فيحتمل أن تكون بمعنى (الاستقرار في البيوت) أو على معنى: كنّ أهل وقارٍ، أي: هدوءٍ وسكينة[2].

وكِلا المعنيين يتقبله سياق النص القرآني فلا تعارُضَ ولا تَضادَّ بين القراءتين، فكلاهما مرادٌ من نساء النبي، الاستقرار في البيوت، والوقار. إلا أن معنى الاستقرار أرجح من الوقار، بدليل قوله تعالى (فِي بُيُوتِكُنَّ) فإن قلنا أن المعنى أن يكنّ وقوراتٍ فلا داعي لتخصيص الوقار في البيوت، لأنّ الوقار ممّا يطلب في داخل البيوت وخارجها. فيتعين معنى الاستقرار في البيوت، لأنّه مما تطلبه دقة النص وسلامته. ولا يخفى أنّ الأمر بالاستقرار في البيوت على نساء النبي ﷺ [3] هو سارٍ على نساء الأمة وهو مقيدٌ بما دون الحاجة.

(١) ظ: معاني القرآن، الفراء ٣٤٢/٢، وكتاب المعاني القراءات ٣٨٦، والحجة، الفارسي ٢٨٤/٣، وحجة القراءات ٥٧٧، والكشف ٣٠٢/٢.

(٢) ظ: جامع البيان ٣/٢، والتبيان، الطوسي ٣٣٧/٨، ومفاتيح الغيب ٢١٠/٢٥.

(٣) كانت السيدة عائشة إذا قرأت هذه الآية تبكي حتى تبل خمارها. قال ابن عطية: (وبكاء عائشة إنما كان بسبب سفرها أيام الجمل وحينئذ قال لها عمار: إن الله أمرك أن تقري في بيتك). المحرر الوجيز ٣٨٣/٤, وظ: الكشف والبيان، الثعلبي ١٠٦/٥.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

3 - اختلاف القراءة على مستوى الحرف (يبصط- يبسط):

قال تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ }البقرة/245{.

أ - أوجه القراءة:

قرأ الدوري عن أبي عمرو وهشام وخلف ورويس وخلف عن حمزة: (ويبسط) بالسين. وقرأ نافعٌ والبزي وشعبة والكسائي وأبو جعفر وروح: (ويبصط) بالصاد. وقرأ الباقون: بالسين والصاد[1].

ب - حجة القراءة:

وحجة من قرأ بالسين (ويبسط) أنها هي الأصل. فلو كانت الصاد الأصل لما جاز أن تُردّ إلى السين، إذ لا ينقل الحرف إلى ما هو أضعف منه، والصاد أقوى بكثير من السين، لإطباقها واستعلائها[2]. وحجة من قرأ بالصاد (ويبصط) أن الطاء مجهورةٌ مستعليةٌ والسين مهموسةٌ مُستَفِلةٌ، فكُره الخروج من السين المستفلة إلى الطاء المستعلية لأنّ ذلك ممّا يثقل فأبدلوا من السين صادًا، لأن الصاد توافق السين في الهمس والصفير والرخاوة، وتوافق الطاء في الاستعلاء[3]. (فالصاد والطاء صوتان مطبقان أسنانيان لثويان)[4].

جـ - دلالة القراءة:

يرى الدكتور فاضل السامرائي: أن (البصط) بالصاد، في آية البقرة مطلقٌ عامٌّ لا يخصّ شيئًا دون شيءٍ، فهو يحتمل البسط في الرزق, وفي الأنفس, وفي الملك, وغيرها, وسائر ما في القرآن (يبسط) بالسين في عشرة مواضعَ مقيدٌ. والمطلق أقوى من المقيد، فجاء في الأقوى بالصاد وفي المقيد بالسين[5]. وهذا التحليل لـ(يبصط) في آية البقرة التي جاءت مخالفةً لما في سائر القرآن بالسين هو تحليلٌ معارضٌ لما ورد فيها من قراءة بالسين (يبسط),

(١) ظ: كتاب السبعة١٨٥- ١٨٦، والنشر ١٧٢/٢-١٧٣.

(٢) ظ: الكشف ٣٤٩/١-٣٥٠.

(٣) ظ: شرح المفصّل ١٣٩١/١٠، وجمهرة اللغة، ابن دريد ١٢/١-١٣.

(٤) دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر ٢٧٠.

(٥) ظ: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني , فاضل السامرائي ٤٧.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

فهل يعد السامرائي هذه القراءة غيرَ صحيحة؟.

ثم إنّ المُلاحَظ من القرائن المحفوفة بالآية أنّ (البصط) لم يكن مطلقًا بل هو مقيدٌ بالرزق[1]. ومما يؤيد ذلك تصدير الآية بصيغة الاستفهام عن الإقراض: (من ذا الذي يقرض الله)، ليستثير المؤمنين ويهيئ قلوبهم لاستقبال هذا النداء، حتى يسهل عليهم الإنفاق ابتغاء مرضاة الله، فقد ذكر ابن العربي أن هذا الكلام جاء (في معرض الندب والتحضيض على إنفاق المال في ذات الله تعالى على الفقراء والمحتاجين, وفي سبيل الله بنصرة الدين)[2] وقوله (قرضا حسنا)، (إشارة إلى أنّ المال المبذول يجب أن يكون من الحلال لا من الحرام، وأن يبذل عن رضًا وبقصد التقرّب إليه سبحانه)[3], ثم جاء الجزاء (فيضاعفه لهم)، ليكونوا مطمئنين بما بذلوا وأنهم سيكافؤون عليه أضعافًا مضاعفةً.

فما ورد من هذه الصيغ التعبيرية كلها قرائنُ تشهد أن (البصط) مقيدٌ بالرزق، وليس مطلقًا. إذًا (يبصط)، بالصاد لم تُفْد معنى الإطلاق كما ذهب إليه السامرائي، (فلمَّا كان المقام مقام تشجيع على الإقراض الحسن بواسطة العمل الصالح والإنفاق في سبيل الله ومقام وعدٍ بمضاعفة القرض عند الجزاء جاء فعل البسط بتفخيم السين وانقلابها صادًا فكان معنى ذلك أن تفخيم السين دليلٌ على جدية الوعد بالمضاعفة لأن من شأن الله سبحانه أن (يبصط) الرزق وهو من ثَمَّ أهلٌ لأن يبسط الجزاء بالمضاعفة)[4]. ثم إن هناك تناسبًا صوتيًّا بين (يقبض ويبصط) بالصاد، من ناحية طبقة الصوت, لا يتحقق مع السين في (يبسط)، إذ نلاحظ انخفاضا في طبقة الصوت عند موازنتها مع (يقبض) ما يؤدي إلى عدم الانسجام الصوتي، الذي يولّد نفورًا في السمع.

(١) ظ: جامع البيان ٥٩٤/٢، والكشاف ٢٨٧/١، ومجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي ١٣٧/٢، ومفاتيح الغيب، الرازي ١٨٢/٦، وتفسير القران العظيم، ابن كثير ٣٢٢/١.

(٢) أحكام القرآن ١/ ٣٠٦- ٣٠٧.

(٣) التفسير الكاشف، محمد جواد مغنية ٣٧٥/١.

(٤) البيان في روائع القرآن, تمام حسان ٤٣١/١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

وتأسيسًا على ذلك فقراءة (يبصط)، بالصاد هي الأقرب إلى المعنى المراد وفيها يتحقق الانسجام الصوتي والمعنوي للآية.

4 - اختلاف القراءة على مستوى الزيادة (تجري تحتها- تجري من تحتها):

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ (التوبة/ 100).

أ- أوجه القراءة:

قرأ ابن كثيرٍ وحده: (تجري من تحتِها) بزيادة (من) وكسر التاء في (تحتها). وقرأ الباقون: (تجري تحتَها) بحذف (من) وفتح التاء في (تحتها)[1].

ب- حجة القراءة:

حجة ابن كثير في زيادة (من) في قوله تعالى (تجري من تحتها الأنهار) أنها كذلك وردت في المصحف المكي. وحجة الباقين في حذف (من) في قوله تعالى (تجري تحتها الأنهار) أنها كذلك وردت في مصاحفهم[2].

جـ- دلالة القراءة :

ما من حرفٍ في كتاب الله إلا وله رسالةٌ يؤديها ووظيفةٌ يقوم بها، فهو ذو أسرارٍ وملامحَ وإيحاءاتٍ وأبعادٍ دلاليةٍ عجيبةٍ وبديعةٍ مقصودةٍ. فلا يوجد في القرآن الكريم بأسره حرفٌ واحدٌ زائدٌ أو محذوفٌ إلا وله قيمةٌ تعبيريةٌ ومغزًى مقصودٌ.

إذ إنَّ كل حرفٍ من حروفه قد وُضع وضعًا محكما دقيقا له مغزاه، ودلالة خاصة مقصودة من المجيء به.

فما ورد في قوله تعالى ﴿جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ من دون (من) على أصل قراءة المصحف له مغزًى يختلف عَمَّن أثبتها في قراءته (تجري من تحتها الأنهار) وقد علق ابن الجزري على قراءة المصحف بقوله: (فيحتمل أنه إنما لم يكتب (من) في هذا الموضع. لأن المعنى: ينبع الماء من تحت أشجارها، لا أنه يأتي من موضعٍ، وتجري من تحت هذه الأنهار. وأمَّا

(١) ظ: كتاب السبعة ٣١٧، والنشر ٢٤٧/٢.

(٢) ظ: التبيان في إعراب القرآن ٤٨٩/١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

في سائر القرآن، فالمعنى: أنها تأتي من موضعٍ، وتجري من تحت هذه الأنهار. ولاختلاف المعنى خولف في الخط. وتكون هذه الجنات معدَّةً، لمن ذُكر تعظيمًا لأمرهم، وتنويهًا بفضلهم، وإظهارًا لمنزلتهم، لمبادرتهم لتصديق هذا النبي الكريم، عليه من الله أفضل الصلاة، وأكمل التسليم ولمن اتبعهم بالإحسان والتكريم. والله أعلم)[1].

إذ إنَّ من معاني (من) هو الابتداء، وكأن المعنى على من أثبتها أنه حدد منابع الأنهار، فمنح هذه الأنهار (تموضعًا)، على حين أن هذه الأنهار على قراءة المصحف لم تُحَدَّد منابعها، ولم تبدأ من موضعٍ معينٍ، وكأنها منابعُ سريةٌ لا يُعْرَف لها موردٌ (غيبية مصادرها)، ما يزيد من عظمة صنع الخالق وإبداعه. وكذلك فإن في حذف (من) إيحائيةً على أنّ هذه الأنهار تجري تحتَهم مباشرةً، على نحوٍ يُحَسّ بها. فترتفع بذلك أحاسيس الأولياء ومشاعرهم، وتشرق بذلك نفوسهم لما يرونه من أسرار الملكوت وعجائبه.

وهذا ما يتناسب مع المقام الكريم الذي وعده الله لطوائف الأمة الثلاث التي ذكرها في مطلع الآية، وهم ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾، أي: (المهاجرون، والأنصار، والتابعون).

فلا جرم، فإن هذه الطبقة من المسلمين بمجموعاتها الثلاث كانت تؤلف القاعدة الصلبة للمجتمع المسلم، فكانت هي التي تمسك المجتمع في كل شدةٍ وبلاءٍ.

لذا هي تستحق كل المواهب والنعم الإلهية، وإضافةً إلى ذلك ومن باب التأكيد فإنّ من امتيازات هذه النِّعم أنّها خالدةٌ، وسيبقون ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾، ولمّا كان من أكمل النعم هو خلودها، أكد هذا الخلود بقوله (أَبَداً).

ثم استأنف مدح هذا الذي أعده لهم بقوله ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾، فأيُّ فوزٍ أعظمُ من أن يحصل الإنسان على مواهبَ خالدةٍ نتيجة أعمالٍ محدودةٍ قام بها. فكل هذه الصياغات التعبيرية التي أكدت فضل الطوائف الثلاث جاءت متناسبةً ومتناغمةً مع قراءة المصحف الشريف بحذف (من)

(١) النشر ٢/٢٤٧.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

التـي أفـادت ديمومـة الأنهار(خلودهـا)، وسريـة مصادرهـا (غيبيتهـا).

ولمكانـة هـذه الطوائـف ومنزلتهـم عنـد اللـه تعـالى، يتضـح الأمـر جليّـا لمـاذا حذفـت (مـن) قبـل تحتهـا، وأثبتـت في سـائر القـرآن قبـل (تحتهـا)[1].

5 -اختلاف القراءة على مستوى الحذف (الذين اتخذوا- والذين اتخذوا):

قـال تعـالى: ﴿وَٱلَّذِيـنَ ٱتَّخَـذُواْ مَسۡـجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡـرٗا وَتَفۡرِيقَۢـا بَـيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِـينَ وَإِرۡصَـادٗا لِّمَـنۡ حَـارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُـولَهُۥ مِـن قَبۡـلُۚ وَلَيَحۡلِفُـنَّ إِنۡ أَرَدۡنَـآ إِلَّا ٱلۡحُسۡـنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡـهَدُ إِنَّهُـمۡ لَكَٰذِبُـونَ﴾ التوبـة/107{.

أ- أوجه القراءة:

قـرأ نافـع وابـن عامـر: (الذيـن اتخـذوا) بغـير واو. وقـرأ الباقـون: (والذيـن اتخـذوا) بالـواو[2].

ب- حجة القراءة:

حجـة مـن قـرأ بالـواو (والذيـن اتخـذوا) أنـه معطـوفٌ عـلى مـا سـبق مـن الآيـات[3]، أي: (ومنهـم الذيـن اتخـذوا مسـجدًا ضرارًا).

وحجـة مـن قـرأ بغـير واو (الذيـن اتخـذوا): أن الذيـن مبتـدأ، واختلـف في خـبره[4]. ذهـب الكسـائي أن خـبره (لا تقـم فيـه أبـدًا)، والتقديـر: (الذيـن اتخـذوا مسـجدًا لا تقـم فيـه أبـدًا)، أي لا تقـم في مسـجدهم[5]. وذهـب النحـاس: إلى أنَّ خـبره (لا يـزال بنيانهـم)، والتقديـر: (الذيـن اتخـذوا مسـجدًا لا يـزال بنيانهـم الـذي بنـوا ريبـةً في قلوبهـم)[6] وذهـب المهـدوي: إلى أنَّ خـبره محـذوفٌ تقديره: معذَّبـون أو نحـوه[7].

جـ- دلالة القراءة:

إن الحـرف بـين الإثبـات والحـذف يحتـاج إلى مزيـدٍ مـن الإمعـان والتدبّـر في كتـاب اللـه العزيـز، فلربمـا ينكشـف مَلمـحٌ نفسـيٌّ، أو مَلحـظٌ تربـويٌّ، أو حتـى

(١) ظ: البقرة /٢٥، والأنعام/٦.
(٢) ظ: كتاب السبعة ٣١٨، والنشر٢/٢١١.
(٣) ظ: الكشف ٢/٨٦، والتبيان، العكبري ١/٤٩٠.
(٤) ظ: م. ن.
(٥) ظ: معاني القرآن، الكسائي ١٥٧.
(٦) ظ: إعراب القرآن ٢/٤٠.
(٧) ظ: البحر المحيط ٥/١٠٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

حقيقةٌ تاريخيةٌ تضيء لنا النص، وتفك من استغلاقه وإبهامه، أو قد يكون لهذا الحرف ميزةٌ كبيرةٌ في حلِّ كثيرٍ من الإشكاليات، فالحرف حين يتشكّل في التركيب يكون له الأثر المعنوي الذي ينبئ عنه.

ولا سبيل للإفصاح عن المعنى المقصود لكلٍّ من القراءتين، وبيان دلالتيهما ومدى إثرائهما للنص القرآني، ما لم نطالع جيدا في هذا الحرف المثبت أو المحذوف، وبالنظر إلى السياق الذي وقعت فيه هذه الآية المباركة نجدها توجهنا إلى آياتٍ سابقاتٍ عنها. وإذا بهذه الآيات السابقات تصف لنا طبقاتٍ من المنافقين والمقصّرين في هذه السورة على شكل طبقاتٍ عامةٍ وخاصةٍ[1].

فإنّ النص القرآني بقراءة إثبات حرف الواو، قد عطف طبقة من المنافقين على طبقاتٍ أخرى سابقةٍ عنها في الذكر؛ وهم ﴿ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا﴾[2]، ﴿وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغۡرَمٗا﴾[3]، و﴿وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ﴾[4]، و﴿وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾[5]، ثم قال ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا﴾. فقد عرض النص القرآني في الآيات السابقة ألوانًا شتّى لنفاق المنافقين، وأضاف في هذه الآية لونًا آخرَ من نفاقهم وحِيَلهم.

فهذا النص القرآني بيانٌ لمكيدةٍ من مكائد المنافقين لرسول اللهوللمؤمنين، فهو عطفٌ على أعمال المنافقين السابقة وهو مظهرٌ آخرُ من مظاهرهم الخبيثة. وهذا يثبت حقيقةً تاريخيةً وهي أن أعمال المنافقين وأفعالهم امتدادٌ لأفعال المنافقين السابقين، فهي سِنخٌ واحدٌ، إلا أنّها الوجوه التي تتغير وتتبدل. وهذه الحقيقة من السنن التاريخية في القرآن الكريم.

(١) ظ: أحكام القرآن، ابن العربي ٥٨١/٢.
(٢) التوبة من الآية ٩٧.
(٣) التوبة من الآية ٩٨.
(٤) التوبة من الآية ٩٩.
(٥) التوبة من الآية ١٠١.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

بيد أنَّ القراءة بحذف الواو على سبيل الاستئناف تشير إلى عرضٍ مشؤومٍ وأسلوبٍ خبيثٍ من أساليب المنافقين، ولكن هذه المرة بلباسٍ جديدٍ وجميلٍ وهو (المسجد)، فقد أشارت الآية إلى أنَّ الذين بنوا المسجد كانوا يهدفون من ورائه إلى أربعة أغراضٍ، **الأول:** الإضرار بالمسلمين، **والثاني:** الكفر بالله، **والثالث:** التفرقة بين المسلمين، والرابع: جعله معقلاً لمن حارب الله ورسوله من قبل. لذا جاءت القراءة من دون (الواو) تنبيهًا للرسول أن يتخذ موقفًا عاجلاً وحاسمًا لوأد هذه الفتنة، فجاء الخطاب له في الآية اللاحقة ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ النهي عن الإقامة فيه، ومما يدلل على هذا العمل تاريخيًّا أن الرسولأمر بهدم هذا المسجد[1].

الخاتمة

١- بيّن البحث أن سبب مخالفة الرسم العثماني للكثير من القواعد الإملائية، أن الصحابة كتبوا المصاحف كما يكتب الناس في زمانهم، بالقواعد الإملائية التي يعرفونها.

٢- ذهب البحث إلى عدم توقيفية الرسم العثماني، أو أنه يحوي أسرارًا خفيةً ومعانيَ صوفيةً، أو أن الرسم كُتِب بطريقةٍ تحتمل القراءات القرآنية، بل غاية الأمر أنّ لرسم المصحف جذورًا تاريخيةً، ترجع إلى بداية الخط النبطي المشتق من الخط الآرامي. وهذا الرأي هو الذي ترجّحه الأدلة الأثرية المكتوبة، التي اكتشفت قبل الإسلام وفي سنواته الأولى.

٣- بيّن البحث أن ما ورد في المصحف من مخالفاتٍ إملائيةٍ ليس بالشيء الذي يمس سلامة القرآن، فالقرآن هو الذي يُقرأ، لا الذي يُكتب، فلتكن الكتابة بأيِّ أسلوبٍ.

٤- نفى البحث أن يكون السبب الرئيس في نشأة القراءات القرآنية رسم المصحف وفقًا لرؤية المستشرقين، لأنّ الرسمَ لاحقٌ للقراءات، وليس سابقًا عليها حتى يكون السبب الرئيس في نشأتها.

(١) إن المنافقين عرضوا بمسجد يبنونه يضاهون به مسجد قباء وهو قريبٌ منه فلما فرغوا من بنائه أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: إنا بنينا مسجدا فصَلِّ فيه حتى نتخذه مصلًّى فأخذ ثوبه ليقوم معهم فنزلت هذه الآية، فدعا رسول الله ﷺ جماعةً، وقال لهم: انطلقوا إلى هذا المسجد الظالمِ أهلُه فاهدموه واحرقوه ففعلوا. ظ: كتاب أسباب النزول، الواحدي ١٢٧، ولباب النقول في أسباب النزول، السيوطي ١١٢.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

٥ - نفى البحث ما ذهب إليه المستشرقون من اختلاطٍ واضطرابٍ مزعومينْ في النص القرآني، بحسب تعدّد القراءات. فالقرآن كلُّه على تنوّع قراءاته يُصدِّق بعضُه بعضًا، ويُبيّن بعضُه بعضًا ويَشهد بعضُه لبعضٍ على نمطٍ واحدٍ من علوِّ الأسلوب والتعبير.

٦- أثبت البحث بما لا يَدَعُ مجالاً للشك تعاضُد القراءات وعدم تنافُرِها أو تَضادِّها من خلال نماذجَ قرائيةٍ ساهم فيها الاختلاف والتنوّع بسبب تجرّد المصحف من النقط، وفقدان الشكل، وغياب الحركة النحوية على الثراء والاتساع.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

المصادر والمراجع القرآن الكريم.

١- الإتقان في علوم القرآن: جلال الدينعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ) ط٣، مطبعة مصطفى البابي الحلبيالقاهرة ١٣٧٠ هـ١٩٥١ م.

٢- إعراب القرآن: أحمد بن محمد أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨ هـ) تحقيق زهير غازي زاهد، مطبعة العاني - بغداد ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

٣- إعراب القران الكريم وبيانه: محيي الدين الدرويش، ط١، سليمان زاده - قم، ١٤٢٥هـ.

٤- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ناصر مكارم الشيرازي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٥- البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٦٧هـ - ١٩٥٧م.

٦- تاريخ الأدب العربي: ألّفه بالألمانية كارل بروكلمان (١٨٦٨- ١٩٥٦م)، ترجمة عبد الحليم النجار وآخرين، الإشراف على الترجمة العربية محمود فهمي حجازي، الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣م.

٧- تاريخ التمدن الإسلامي: جرجي زيدان، دار الهلال (د. ت).

٨- تاريخ القرآن: د. عبد الصبور شاهين، دار القلمالكويت ١٩٦٦م.

٩- التبيان في إعراب القرآن: أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت٦١٦هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

١٠- التبيان في تفسير القرآن: أبو جعفر محمد بن الحسن (ت٤٦٠هـ)، قدّم له الشيخ آغا بزرك الطهراني، المطبعة العلمية - النجف الأشرف ١٩٥٧م.

١١- تفسير الفخر الرازي المشتهر بـ(التفسير الكبير ومفاتيح الغيب): فخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت ٦٠٦ هـ)، ط٣، دار الفكر- بيروت ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

١٢- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، ط٢، مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٣٧٣هـ- ١٩٥٤م.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

١٣- الجنى الداني في حروف المعاني: حسن بن قاسم المرادي (ت ٧٤٩ه)، تحقيق طه محسن، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر- جامعة الموصل ١٩٧٥م.
١٤- الحجة في القراءات السبع: أبو هبة الله الحسين بن خالويه (ت٣٧٠هـ)، تحقيق أحمد فريد المزيدي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
١٥- حجة القراءات: أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة (ت ٣٠٢ هـ) تحقيق سعيد الأفغاني، ط٤، مؤسسة الرسالة-بيروت ١٤٠٤ هـ١٩٨٤م.
١٦- الحجة للقراء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر أبن مجاهد: أبو علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي (ت ٣٧٧ هـ)، وضع حواشيه وعلّق عليه كامل مصطفى الهنداوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.
١٧- دراساتٌ قرآنيةٌ (تاريخ القرآن): محمد حسين علي الصغير، ط٢، مكتب الإعلام الإسلامي هـ ق ١٤١٣.
١٨- رسم المصحف - دراسةٌ لغويةٌ تاريخيةٌ: غانم قدوري الحمد، ط١، مؤسسة المطبوعات العربية - بيروت ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
١٩- رسم المصحف العثماني وأوهام المستشرقين في قراءات القرآن الكريم دوافعها ودفعها: د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، جدة، دار الشروق، ط٢، ١٤٠٣ه.
٢٠- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: شهاب الدين محمود الآلوسي، ت١٢٧٠هـ، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
٢١- شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف: أبو أحمد العسكري، ت عبد العزيز أحمد، مكتبة البابي الحلبي ط١، مصر١٩٦٣م.
٢٢- صبح الأعشى في صناعة الإنشا: أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي (ت٨٢١ هـ) نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر والترجمة، القاهرة ١٩٦٣م، طبعة دار الكتب المصرية ١٩١٠م - ١٩٢٠م.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

٢٣- فقه اللغة: علي عبد الواحد وافي، أطراه مجمع اللغة العربية، ط٦، دار النهضة مصر- القاهرة، للطبع والنشر.
٢٤- في ظلال القرآن: سيد قطب، ط٥، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٨٦هـ، ١٩٦٧م.
٢٥- الفهرست: ابن النديم، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت. د. ت.
٢٦- كتاب أسباب النزول: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، (ت٤٦٨ هـ)، ط١، دار ابن الهيثم - القاهرة ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
٢٧- كتاب السبعة في القراءات: أبو بكر أحمد بن موسى، المعروف بابن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ) تحقيق د. شوقي ضيف، ط٢، دار المعارف- مصر ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م.
٢٨- كتاب سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، (ت ١٨٠ه) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط١، دار الجيل - بيروت.
٢٩- كتاب المصاحف: ابن أبي داود، نشر أرثر جفري ١٩٣٧م.
٣٠- كتاب معاني القراءات: أبو منصور محمد بن احمد الأزهري (ت٣٧٠هـ)، تحقيق أحمد فريد المزيدي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
٣١- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ هـ١٩٩٥م.
٣٢- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها: مكي بن ابي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ) تحقيق الشيخ عبد الرحيم الطرهوني، دار الحديث القاهرة، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.
٣٣- الكشف والبيان في تفسير القرآن المعروف بـ(تفسير الثعلبي): الإمام أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (ت٤٢٧هـ)، تحقيق سيد كسروي حسن، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
٣٤- لسان العرب: جمال الدين بن منظور الأنصاري الإفريقي المصري (ت

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

٧١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ٢٠٠٥م.
٣٥- لهجة القرآن الكريم: جواد علي، مجلة المجمع العلمي العراقي ٢٩٠، ١٩٥٥م.
٣٦- مجلة كلية الآداب، الجامعة المصرية، المجلد ٣، جزء١، ١٩٣٥م.
٣٧- مجمع البيان في تفسير القرآن: الشيخ أبو علي الفضل الطبرسي (القرن السادس الهجري) تصحيح وتحقيق وتعليق هاشم الرسولي المحلاتي - دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٣٣٩هـ.
٣٨- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت٥٤٦هـ)، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ١٤٢٢هـ-٢٠٠٠م.
٣٩- **مذاهب التفسير الإسلامي:** غولدتسيهر، ترجمة عبد الحليم النجار، ط٢، دار إقرأ، بيروت ١٩٨٣م.
٤٠- **معاني القرآن:** أبو زكريا يحيى بن زياد الفرّاء (ت ٢٠٧هـ)، تحقيق أحمد يوسف نجاتي، ومحمد علي النجار، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠م.
٤١-**دمعاني القرآن وإعرابه:** أبو إسحق إبراهيم بن السري الزجاج (ت ٣١١ هـ) تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، دار الحديث - القاهرة، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
٤٢- **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب:** أبو محمد عبد الله بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، تحقيق مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، ط١، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر- طهران ١٣٧٨.
٤٣- المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام: جواد علي، ساعدت جامعة بغداد على نشره، ط٢، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
٤٤- مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون (ت٨٠٨هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت (د. ت).
٤٥- مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني (ت ١٣٦٧هـ) دار

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية

www.quranonlinelibrary.com

إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه. القاهرة (د. ت).
٤٦- الموسوعة القرآنية الميسرة: إبراهيم الإبياري، مؤسسة سجل العرب، القاهرة ١٩٧٤م.
٤٧- الميزان في تفسير القرآن: العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.
٤٨- النشر في القراءات العشر: الإمام الحافظ أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري، ٨٣٣ هـ، قدم له صاحب الفضيلة الأستاذ علي محمد الضباع، خرج آياته الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

المكتبة العالمية الفريدة لكتب التجويد والقراءات على الشبكة العنكبوتية